مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
المجلد: 20العدد: 01/.2022/ص ص.:262-283 EISSN 2600-6499

المنشآت المعمارية المدنية للباي مصطفى بوشلاغم المسراتي بمدينة وهران

Civil Architectural Constructions of the Bey Mustapha Bouchlagham El-Misrati in the Oran's city

علي بوتشيشة♦[1]
معهد الآثار – جامعة الجزائر 2
ali.boutchicha@hotmail.fr

تاريخ الإستلام 2022/04/23 تاريخ القبول 2022/10/13 تاريخ النشر 2022/12/26

الملخص:

يكتسي موضوع العمارة خلال العهد العثماني عموما، والمدنية بالجزائر خصوصا أهمية معتبرة في مجال البحث الأثري المعماري. وعليه، فإننا تناولنا من خلال هذا البحث العمائر المدنية الباقية المنسوبة لأحد أهم بايات وهران وهو الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي أول محرر لوهران من الاحتلال الإسباني، والذي حكم وهران لمدة ربع قرن تقريبا. وللعلم فإن دراستنا لهذه المعالم هي دراسة أثرية في المقام الأول اعتمدت أساسا على الجانب الميداني والمنهج الوصفي، تطرقنا من خلالها لمنجزات الباي بوشلاغم في الميدان المعماري بشكل من التفصيل ولأول مرة، خاصة بالنسبة لقصر الباي بالقصبة ودار إقامته والحمام الملحق بقصره . وكمحصلة فإن تلك المباني لم تختلف في خصائصها المعمارية والفنية عن نظيراتها في باقي مدن الجزائر خلال نفس الفترة.

الكلمات المفتاحية : وهران، عمارة، مصطفى بوشلاغم، قصر، حمام.

Abstract

The theme of architecture during the Ottoman era in general, and civil architecture in Algeria in particular, is of considerable importance in the field of archaeological and architectural research. Accordingly, we study through this research the remaining civil constructions attributed to one of the most important beys of Oran, the Bey Mustapha Bouchlagham El-Misrati, the first to liberate Oran from the Spanish occupation, which ruled Oran for nearly a quarter of a century. Our study of these constructions is an archaeological study in the first place that depends mainly on the field side and the descriptive approach. For the first time, we deal in detail with the achievements of Bey Bouchlagham in the architectural field, particularly with regard to the Bey's palace in the Casbah and his residence and the bath adjoining his palace. As a result, these constructions did not differ in their architectural and artistic characteristics from their counterparts in the rest of the cities of Algeria during the same period.

Keywords: Oran, Architecture, Mustapha Bouchlagham, Qasr, Hammam.

♦المؤلف المرسل .

1.مقدمة:

يعتبر فن العمارة أحد أهم الفنون التي يُعتدّ بها في الدراسات الأثرية، ذلك أن العمائر بمختلف أنواعها هي من أكثر ما خلفه الإنسان في مختلف عصوره من جهة، والأقوى صمودا أمام المتغيرات بكافة أشكالها من جهة أخرى.

ولا ريب أن العمارة الاسلامية سجلت حضورها القوي ابتداء من النصف الثاني من القرن الأول الهجري /السابع الميلادي، ولم يخفت بريقها إلا خلال القرون الأخيرة، وبقدر امتدادها الزماني كان امتدادها المكاني، حيث غطت بحضورها أقاليم واسعة سواء في شرق العالم القديم أو غربه، والمغرب الأوسط (الجزائر) يعتبر واحدا من تلك البلاد التي شكلت رافدا مهما أسهم بصورة واضحة في تطور وبزوغ العمارة الإسلامية عبر مختلف الفترات ومنها الفترة العثمانية.

والحق أن هذه الفترة تعد طويلة ومهمة من تاريخ وحضارة الجزائر وقد خلفت لنا العديد من المنشآت المعمارية، وكانت من الثراء بحيث ضمت مختلف الأنواع وعرفتها عديد مدن الجزائر، ومنها مدينة وهران.

لقد حكمت هذه المدينة من قبل العثمانيين لمدة ليست بالطويلة بلغت نحو 63 عاما فقط، وتمت على فترتين اثنتين، كانت الأولى حين تحريرها من قبل الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي العام 1119هـ/1708م، حيث اتخذت المدينة من حينه عاصمة لبايليك الغرب بدلا من معسكر[1]، وقد صاحب ذلك نهضة عمرانية ومعمارية كبيرة كان الباي مصطفى بوشلاغم رائدها الأول والأوحد، ودامت هذه الفترة إلى غاية احتلالها من طرف الإسبان سنة 1144هـ/1732م. أما الفترة الثانية من الحكم العثماني للمدينة فهي التي أعقبت تحريرها الثاني والنهائي العام 1206هـ/1792م من قبل الباي محمد الكبير، والذي اتخذ وهران عاصمة لبايليكه عوض معسكر، حيث شهدت خلالها المدينة توسعا عمرانيا لم تعرفه من قبل. فما هي أهم المنجزات المعمارية المدنية للباي مصطفى بوشلاغم في مدينة وهران؟ وفيما تتمثل خصائصها المعمارية و الفنية؟

وقد هدفنا من هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية تاريخية ساهمت بشكل كبير في صناعة تاريخ المنطقة السياسي والعسكري، مبرزين أهم إنجازاتها المعمارية، هذه الأخيرة أغفلتها الدراسات لاسيما الاستشراقية؛ الفرنسية والاسبانية على الخصوص، إلا أن الدراسة النظرية والميدانية التي قمنا بها تفند جميع المزاعم الفرنسية والاسبانية. بل وتؤكد عموما كثافة العمائر الاسلامية بوهران التي تعود لفترة حكم الباي بوشلاغم.

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى عدة محاور بدأناها بتقديم لمحة وجيزة عن الباي مصطفى بوشلاغم منذ نشأته إلى وفاته، وفي المحور الثاني تناولنا إنجازاته العسكرية مركزين على أهمها وهي فتح وهران الأول من الاحتلال الاسباني. في

[1] – محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص. 162.

المحور الثالث تطرقنا بصفة عامة إلى إنجازاته العمرانية والمعمارية بباياليك الغرب. وفي المحور الأخير تحدثنا بالتفصيل عن المنشآت المعمارية المدنية للباي بمدينة وهران.

2. العرض:

1.2- التعريف بالباي مصطفى بوشلاغم المسراتي :

هو مصطفى بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي ثم الهواري، المعروف بأبي الشلاغم[2]، هو الباي السابع عشر لباياليك الغرب[3]، تولى الحكم عام 1098هـ/1686م بعد استشهاد سلفه الباي شعبان[4]، شهد عصره انتقال عاصمة الباياليك من مدينة لأخرى فكانت يدايته في مازونة، ومنها تحول إلى قلعة بني راشد ثم معسكر، ولما فتح وهران نقل مركز الحكم إليها، وعقب احتلال الإسبان لها للمرة الثانية تحول إلى مستغانم وبها وافته المنية[5] .

وينحدر الباي من أصول غير تركية، ونعتقد أنه أول باي ذو أصول عربية يتولى زمام أحد الباياليكات، وقد بنى جده محمد بن إسحاق المسراتي قلعة بني راشد التي كانت تُسمى فيما مضى بقصبة المسراتية[6] أما أبوه يوسف فقد تكفل بالقضاء على أحد أخطر قطاع الطرق بقسنطينة وكان حينها جنديا بمدينة الجزائر، فخيّره الباشا – مكافأة له – بأن يتولى إحدى الباياليكات الثلاثة، فاختار أن يكون خليفة الباي بقسنطينة، وبعد مدة انتقل إلى باياليك الغرب حيث سكن بمستغانم ثم القلعة – بلد أجداده– أين مات هناك، وقد خلّف ثمانية من الأولاد منهم الباي مصطفى المسراتي[7] . وتربى مصطفى بن يوسف في قصر محمد بكداش باشا الذي أحبه كثيرا، وعقب استشهاد الباي شعبان عند أسوار وهران عُيّن بايا على باياليك الغرب[8].

ونظرا لتوتر العلاقة بين الباي ودايات الجزائر الذين أعقبوا الباشا محمد بكداش فإن محي الدين المسراتي – أحد أقارب الباي– هو الذي كان باستمرار يتوجه نحو الجزائر لتقديم الدنوش[9].

---

[2] – الزياني، **المصدر السابق**، ص. 192.

3- Pièsse louis, **Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie**,Hachette Paris, 1862,- P.20.

[4] – الزياني، **المصدر السابق**، ص. 192.

[5] – **نفسه**، ص. 192– 193.

[6] – **نفسه**، ص. 194.

[7] – آغا بن عودة إسماعيل المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة : يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م، الجزء الأول، ص. 277–278.

[8] - Esterhazy Walsin, **De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, librairie de charles - Gosslin, Paris, 1840, P. 169-170.

[9] - **Ibid**., P. 173.

وقد حكم الباي البايليك مدة طويلة من الزمن قاربت النصف قرن، منها ما يقرب ربع قرن بوهران، عُرف عنه الكثير من الخصال الحميدة .

توفى الباي مصطفى بوشلاغم بمستغانم سنة 1737م/1149-1150هـ[10]، ودفن في قبته التي بناها بالبلدة الصغيرة قرب مطامير حميد العبد، وخلفه في الحكم ابنه يوسف[11]، والمعين من قبل داي الجزائر حينها بابا إبراهيم[12].

2.2- أهم منجزات الباي العسكرية:

يعتبر تحرير وهران والمرسى الكبير أعظم منجزات الباي العسكرية، فهذه المدينة خضعت للاحتلال الإسباني مدة طويلة جدا من الزمن بلغت 260 سنة مرت على فترتين امتدت الأولى ما بين سنتي 915هـ/1509م و1119هـ/1708م، بينما امتدت الثانية ما بين سنتي 1144هـ/1732م و1206هـ/1792م، وقد تخلل الفترتين الحكم العثماني للمدينة بقيادة الباي مصطفى المسراتي .حاول الجزائريون بعد فترة بقيادة العثمانيين تحرير وهران والمرسى الكبير ولمرات عديدة، ومنها حملة البايلار باي حسن بن خير الدين عام 971هـ/1563م، الذي قادها انطلاقا من الجزائر العاصمة واتخذ من منبع وادي الرّحِيّ (رأس العين) جنوب وهران مركزا لقيادته[13]، غير أن هذه المحاولة وما تبعها من المحاولات باءت بالفشل.

ومع ذلك لم تتوقف الهجومات على وهران من أجل تحريرها من أيدي الأسبان[14] ففي العام 1118هـ/1707م أرسل الباشا محمد خوجة بن علي بن محمد المعروف بمحمد بكداش[15] جيشا يقوده خليفته وصهره حسن أوزون، مؤلفا من

---

[10] – تذكر بعض المصادر العربية أنه مات سنة 1146هـ/1734م. **أنظر** – الزياني، **المصدر السابق**، ص. 193.
و– المزاري، **المصدر السابق**، الجزء الأول، ص. 276.

[11] – Pièsse louis, **Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie,** P.205.

[12] – Esterhazy Walsin, Op.Cit. P. 174.

[13] – عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة : محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989م، ص213.

[14] – من أهم المحاولات الجادة التي قام بها العثمانيون لتحرير وهران خلال القرن الثاني عشر الهجري / السابع عشر الميلادي الهجوم على وهران عام 1604م والحصار البري والبحري لها عام 1639م ومحاصرة المرسى عام 1675م والهجوم على المدينة ومحاولة فتحها العام1673م.
Lespès René, «Oran; ville et port avant l'occupation française (1831)», In **R.A** ,V.75, 1934, P. 281.
وانظر : - Abadie Louis, **Oran et Mers El- Kébir, vestiges du passé espagnol,** Edition Gandini,Paris, 2002.p.19.

[15] – غادر **محمد بكداش** مسقط رأسه في سنة 1086هـ/1675م ورحل إلى الجزائر حيث انظم إلى صفوف الجيش الانكشاري فعين كغلام في سنة 1107هـ/1695م وكمقتصد في سنة 1112هـ/ 1700م وكرئيس ديوان الإنشاء في سنة 1117هـ/ 1705م وكداي في السنة التالية. – رشيد بورويبة، **وهران**، سلسلة فن وثقافة، 1979م. ص. 83.

ثمانية آلاف وخمسمائة رجل مع سلاح كثير لمصطفى المسراتي باي بايليك الغرب الذي قاد المعركة بحنكة عالية[16] فمن الأساليب الحربية الناجعة التي لجأ إليه الباي في فتحه لوهران إحاطة المدينة بسلسلة من الخنادق[17]، والتي تمنع التواصل بين حصونها من جهة، كما تحول دون إمداد الحامية الاسبانية بما تحتاجه من عُدّة وعديد، وخاصة من المرسى الكبير وبلدة إفري القريبة، إضافة إلى منع تموينها بالمواد الغذائية عن طريق الحدائق والبساتين القريبة من المدينة[18]. وكان فتح المدينة صبيحة يوم الجمعة 26 شوال 1119هـ/ 20جانفي 1708م[19]، لتتوجه جهود المسلمين نحو المرسى الكبير، والذين استطاعوا تحريره في 24 محرم من عام 1120هـ/ الموافق لـ14 أفريل 1708م، وكانت خسائر العدو فادحة قدرت بالآلاف بين قتيل وأسير[20]. وعقب هذا التحرير اتخذ الباي مصطفى المسراتي من القصبة مقرا لحكمه[21]، على غرار ما كانت عليه قبل الاحتلال الاسباني لها .

3.2- منجزات الباي العمرانية والمعمارية :

بعد أن استقر به المقام بوهران شرع الباي مصطفى المسراتي في إعادة إعمار المدينة من جديد وجلب إليها السكان من المدن المجاورة وأعاد إليها نشاطها التجاري الذي عرفت به منذ نشأتها الأولى، وقد أخذ الناس يتوافدون إليها من كل مكان لتعميرها، مما جعل حركة التجارة تزدهر من جديد، واستقر بالمدينة العديد من التجار الفرنسيين وكان من ضمنهم القنصل الفرنسي[22]، وذلك عقب إبرام معاهدة تجارية مع داي الجزائر العام 1131هـ/ 1719م، وتحصل الإنجليز في ذات الفترة على امتيازات تجارية بميناء وهران. كما أعاد إليها نشاطها الاجتماعي والثقافي بعد أن كانت مدينة شبه ميتة محاصرة من جميع الجهات إلا من ناحية البحر، غالبية ساكنتها من الجنود المتحصنين بين أسوارها وداخل حصونها وأبراجها والعمال المشتغلين في بناء الأبراج وحفر الأنفاق، أما ساكنتها من المدنيين فكان قليل جدا لا يتعدى في أحسن الأحوال الأربعة آلاف نسمة.

---

[16] – عرف الباي مصطفى المسراتي بكنية أخرى وهي "أبو الشلاغم" وهي التسمية التي أطلقها عليه الإسبانيون (Bigotillos) ثم انتشرت لدى العامة. **أنظر** :

-Aramburu, **Op.Cit** Aramburu D.J., **Oran et l'Ouest algérien au 18 ème siècle (Rapport)**, Présentation et traduction ; Mohamed El Korso et Mikel De Epalza, Bibliothèque nationale, Alger, 1978, P. 4

-Pestemaldjoglou A, « Ce qui subsiste de l'Oran espagnol »,In **R.A**, VOL, 79, 1936, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1936, P.665.

[17] - Mikel de Epalza et Juan Bta Vilar, **Plans et cartes hispaniques de l'Algérie, 16ème- 18ème siecles**, Julio Soto Impresor, S.A, Madrid, 1988, P. 64.

[18] - Ferhat Bendaoud, R. H**., étude de l'Architecture militaire de la ville d'Oran pendant l'occupation espagnole 1505-1792**, Mémoire de Magister, école polytechnique d'architecture et d'urbanisme, Alger, 1999-2000, P. 53.

[19] – الزياني، **المصدر السابق**، ص. 159.

[20] – **نفسه**، ص. 257 و258، و**انظر**:- التر، **المرجع السابق**، ص. 461.

[21] - Ernest Mercier**, Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les reculés jusqu'à la conquête française**, T.3, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1868,. P.336

[22] -. Kehl,C. **Oran et l'Oranie avant l'occupation française**, Oran, 1942, P. 4

ورغم محاولة الكتاب الأجانب وعلى رأسهم الإسبان والفرنسيين التقليل – إلى حد الاحتقار – من انجازات الباي مصطفى المسراتي في الميدانين العمراني والمعماري بوهران، فإن ما وقفنا عليه من المعالم الأثرية والشواهد المادية القائمة التي تعود إلى فترة حكمه سواء في القصبة أو في المدينة الإسلامية القديمة حقيق بأن يفند تلك المزاعم، ومن جهة أخرى تعرض ساندوفال (Sandoval) أحد الكتاب الفرنسيين إلى الكتابات التأسيسية المعثور عليها والتي تسجل للمنشآت المعمارية التي بناها الباي مصطفى بوشلاغم خلال فترة حكمه – التي امتدت لما يقرب من ربع قرن– وكان عددها اثني عشر لوحة[23]، وهو انجاز معتبر إذا ما قارناه بما أنجزه الحكام الذين تداولوا على حكم المدينة سواء من الإسبان أو العثمانيين .

فقد بنى الباي حسب هذه اللوحات التأسيسية – التي مازال بعضها موجودا إلى اليوم– إضافة إلى قصره وحمام القصبة وحمام المدينة العام العديد من المنجزات المعمارية الأخرى في مقدمتها أقبية « Voûtes »، ومسجد وباب والأقواس التي بالرحبة التي تتقدم جامع الباي محمد بن عثمان الكبير[24]، وفي ذات السياق ذكر الزياني في كتابه اثنين من هذه المعالم وهما القبة الضريحية والأقواس التي بساحة الجوهرة (الرحبة) متطرقا إلى مضمون كتابتيهما التسجيليتين[25].

كما لا يزال يحتفظ لنا متحف زبانة بكتابة تأسيسية لأحد المخازن التي بناها الباي مصطفى المسراتي العام 1133هـ/1721م[26] .

وإذا أخذنا في الاعتبار تلك اللوحات التأسيسية المفقودة بالإضافة إلى المباني التي تكون قد خلت من مثل تلك الكتابات والتي نعتقد أنها قد هدمت أو تهاوت مع مرور الوقت، فإن هذا دليل آخر على كثرة المنجزات المعمارية للباي[27].

وقد بنى مصطفى المسراتي المسجد الذي كان يطلق عليه مسجد البرانية، كما سمي باسم مسجد بني عامر عند المدخل الشرقي المعروف بباب الجيارة خارج أسوار المدينة غير بعيد عن برج الصبايحية (القديس أندريه)، كان يرتاده التجار القادمين من خارج وهران[28]، والذي خربه الأسبان عند احتلالهم للمدينة سنة 1145هـ/ 1732م وأقاموا في مكانه

[23] - De Sandoval, C. X., « Les inscriptions d'Oran et de Mers-El-Kebir » Trad : Monnerau, In R. A., V.16 ,1872, P.P.191-193.

[24] -- **Ibid**., P.P.91-93

[25] – الزياني، **المصدر السابق**، ص. 193.

[26] – كانت هذه البناية تقع بأسفل القصبة أمام المستشفى الملكي الاسباني ذات سقف نصف برميلي طولها 18.83م وعرضها 3م.

[27] - يوجد اليوم أيضا بمتحف زبانة بوهران لوحتان تأسيسيتان تشيران إلى المؤسس وهو الباي مصطفى المسراتي وإلى تاريخ التأسيس، غير أننا نجهل طبيعة البنايتين بسبب الطمس الذي لحق ببعض أجزاء الأولى وعدم كتابة اسم المنشأة في الثانية.

[28] - Pièsse louis, **Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie**, P. 222.

برج قورد .(La Tour Gourd) وفي عهد الباي عثمان بن محمد أعيد بناء المسجد من جديد وذلك سنة 1801م، وفي سنة 1844م حولته سلطات الاحتلال إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة القديس أندريه[29]، وبعد الاستقلال حول من جديد إلى مسجد يعرف حاليا باسم جامع أبي عبيدة بن الجراح[30].

ومن جهة أخرى فقد وسّع في القصبة[31]، وهذا من خلال ما بناه من مباني وعلى رأسها القصر. كما يعتقد أنه بنى بلدة إفري الواقعة إلى الجنوب من وهران، واتخذها كرباط للطلبة المحاصرين للإسبان وذلك العام 1701م[32] .

كما يكون الباي قد بنى العديد من المعالم سواء بمازونة عاصمته الأولى والتي مكث بها من 1098هـ/1687م إلى 1112هـ/1701م ومنها إلى القلعة فمعسكر عاصمته الثانية التي تحول إليها قبيل الفتح عام 1117هـ/1706م، أو مستغانم التي انسحب إليها بعد إعادة احتلال وهران من طرف الأسبان وقضى بها آخر أيامه.

ففي مستغانم بنى حصن الترك[33] والقبة الضريحية التي دفن بها، أما في مازونة ومعسكر فقد سكتت المصادر التاريخية عن المباني التي يكون قد شيدها الباي بدون شك. غير أن أهم منجزات الباي الباقية هي تلك الموجودة بوهران والتي اتخذها عاصمة لبايليك الغرب ومكث بها مدة ربع قرن تقريبا.

4.2- أهم المنشآت المعمارية المدنية للباي بمدينة وهران:

1.4.2- قصر الباي بالقصبة:

إن قصر الباي مصطفى المسراتي اليوم في حالة جد متردية، حيث انهارت جميع سقوفه تقريبا كما أن الكثير من جدرانه مهددة بالانهيار، بل ونرجح أن أجزاء منه تكون قد فقدت، وبالتالي فإنه من العسير تقديم وصف كامل لمظهره الخارجي وبالضبط لواجهاته، وتبقى واجهته البحرية الاستثناء الوحيد، وفيها فتحت العديد من النوافذ يصل عددها إلى إحدى عشر نافذة، ويبرز في منتصف الواجهة إيوان فتحت في جداره نافذة كبيرة. ومن خلال هذه الواجهة تبين لنا أن جدار القصر الشمالي بني على سور المدينة الأصلي والذي كان في جزء منه يلتف بالقصبة (الصورة1).

[29] - Pièsse louis, **Itinéraire de l'Algérie, de la Tunisie et de Tanger**, Librairie Hachette, Paris,1882, P.184.

[30] - يحيى بوعزيز، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، منشورات A.N.E.P، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002م ص.46.

[31] - Casenave, J., « Contribution à l'histoire du vieil Oran », In **R. A**., V. 66, 1925, P. 333.

[32] - Benkada Saddek, **Espace urbain et structure sociale à Oran de 1792 à 1831**, Mémoire de diplôme d'etude approfondies, université d'Oran, Institut des sciences sociale, Oran, 1988, P. 143.

[33] – المزاري، **المصدر السابق**، الجزء الأول، ص. 276.

صورة 1 : الواجهة الشمالية لقصر الباي (عن الباحث)

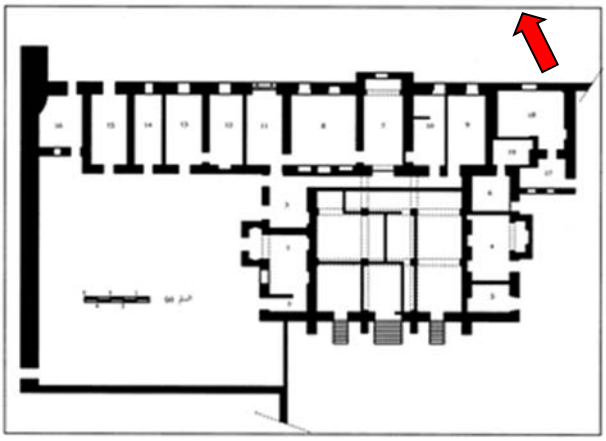

مخطط 1 : قصر الباي مصطفى المسراتي؛ الديوان وملحقاته (الحالة الراهنة). (عن الباحث)

إن الأمر الذي وقفنا عليه من خلال المعاينة الميدانية للموقع أن القصر بني على مساحة واسعة من الأرض قد تتعدى 1585م^2، هذا إذا استثنينا الأقسام المفقودة منه ودار الإقامة الواقعة إلى الشرق والتي هي من بناء الباي مصطفى بوشلاغم، وعليه فإن القصر في صورته الحالية يتكون من الديوان وغرف الطابق الأرضي والحديقتين (الفنائين) إضافة إلى دار الإقامة (المخطط 1).

1.1.4.2- الديوان :

يعتبر أهم أجنحة القصر فهو مقر الحكم وقاعة استقبال ودار للقضاء[34]، يحتل تقريبا مركز قصر الباي ويقابل من خلال واجهته الرئيسية الحديقة الكبرى، الذي يرتفع عن أرضيتها بنحو المتر، يقع مدخله في منتصف الجدار متوج بعقد نصف دائري يبدو أنه جدد خلال الفترة الثانية من الاحتلال الاسباني، ومن خلاله نصل إلى قاعة كبيرة تأخذ حاليا شكلا مستطيلا يقدر طولها بـ11م وعرضها بـ9.60م لتصل مساحتها إلى 105.6م^2، بينما يصل ارتفاعها إلى 5م، يرتكز سقفها بالإضافة إلى الجدران على أربعة أعمدة ضخمة أسطوانية الشكل ذات تيجان محلية بسيطة، تحمل هذه الأعمدة 12 عقدا منكسرا متجاوزا .

[34] - علي بوتشيشة، "المنجزات المعمارية للباي محمد الكبير في مدينة وهران"، مجلة عصور الجديدة، العدد 7-8، خريف-شتاء 1433-1434هـ/2012-2013م، ص. 224.

ويجب أن نشير هاهنا أن قاعة الديوان التي سكنتها عائلات جزائرية بعد الاستقلال خضعت لتقسيمات جديدة من خلال إقامة جدران فاصلة غير متقنة البناء ما تزال بقاياها إلى اليوم، ونشير أيضا في ذات السياق أن سقف القاعة منهار بالكامل، كما أن بعض العقود شبه منهارة وهي مهددة بالانهيار في أية لحظة (الصورة 2).

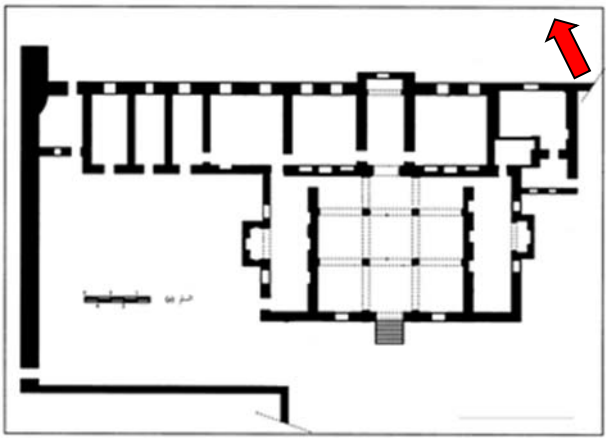

مخطط 2 : قصر الباي مصطفى المسراتي؛ الديوان وملحقاته (إعادة تصور (عن الباحث).

صورة 2: مبنى الديوان في الحالة الراهنة(عن الباحث)

2.1.4.2- غرف القصر :

تتوزع حول الديوان من جهاته الشرقية والغربية والشمالية مجموعة من الغرف تصل إلى 17 غرفة حاليا، غير أن عدد غرف القصر الأصلية أقل من ذلك، باعتبار أن بعض تلك الغرف خضعت إلى تقسيمات جديدة خلال فترة الاستعمار على الخصوص (المخطط 2).

أ-غرف الجهة الغربية:

تتوفر هذه الجهة حاليا على ثلاث غرف متباينة في الشكل والمساحة، تتميز جميعها بالاستطالة بعضها ذات نوافذ وخزانات جدارية .ومما يجب التذكير به أن غرف الجهة الغربية كانت في الأصل غرفة واحدة كبيرة ثم قسمت لاحقا إبان فترة الاستعمار الفرنسي إلى ثلاث غرف من خلال إقامة سورين فاصلين.

ب- غرف الجهة الشرقية :

تتوزع على هذه الجهة من الديوان وعلى غرار الجهة الغربية ثلاث غرف تمتد على طول الجدار الشرقي للديوان، ومن خلال المعاينة الميدانية وعلى غرار غرف الجهة الغربية لاحظنا أن هذه الغرف الثلاث الأولى كانت في الأصل

غرفة واحدة ثم تعرضت إلى تغييرات خلال الاحتلال الفرنسي ثم الفترة التي أعقبت الاستقلال على الأرجح لتصبح على ما هي عليه اليوم.

ج- غرف الجهة الشمالية :

تضم هذه الجهة العدد الأكبر من الغرف، غير أنها وعلى غرار الغرف السابقة تعرضت إلى تغييرات أثرت كثيرا في شكلها ومساحتها، ومع ذلك فقد حافظت بعضها على طابعها المعماري الأصيل. والجدير بالذكر أنها تحتل موقعا هاما بحيث تشرف على المدينة والواجهة البحرية في آن واحد.

نشير في الأخير إلى أن جميع هذه الغرف فقدت سقوفها كما فقدت تبليطها الأصلي والذي استبدل بتبليط حديث.

3.1.4.2- الحديقتان:

يتوفر قصر الباي مصطفى المسراتي على حديقتين اثنتين، تقع الأولى إلى الجنوب من القصر بحيث تتقدم الديوان، نصل إليها عبر مدخل كبير فتح في سور القصبة الثاني، تأخذ هذه الحديقة شكلا مستطيلا تقريبا حيث يبلغ طول ضلعها الشرقي 43م والغربي 44م والشمالي 18م أما الجنوبي فيبلغ 20م.

وتقع الحديقة الصغرى ضمن المساحة التي تتقدم غرف الجهة الشمالية والغربية، طولها 19م وعرضها 17م، يحدها من جهة الغرب سور القصبة البالغ ارتفاعه 5.90م والبالغ سمكه 1.33م، ويطوقها من الجنوب سور مشابه أقل سمكا من الأول .

4.1.4.2- دار الإقامة:

هو المبنى الخاص بإقامة الباي وأسرته، يقع إلى الشرق من قصر الحكم على مسافة 50م، يشغل مساحة كبيرة من الأرض تقدر بـ 610م^2 وكان يتكون من عدة طوابق[35]، تتقدمه فيما يبدو حديقة كبيرة مستطيلة الشكل طولها 27م وعرضها 22م، محاطة في جهتها الجنوبية بسور فتح به المدخل الرئيسي لدار الإقامة، ويقوم على كل دعامتين عقد ضخم ذو شكل منكسر متجاوز مبني بآجر كبير الحجم.

أما الدار في حد ذاتها فقد طمست الكثير من معالمها ولم يبق منها إلا صحنها وثلاثة من أروقتها الدالة على وجودها، أما غرفها فقد تعرضت إلى الكثير من التغيير والتخريب، وفقدت بالتالي طابعها المعماري والفني الأصيل .

[35] - Paul Birebent, " Oran avant la France", In L'Algérianiste, n° 103, Septembre, 2003, P.118.

- صحن وأروقة دار الإقامة:

يأخذ الصحن شكلا أقرب إلى المربع حيث يبلغ طول ضلعه الشمالي 11.25م والجنوبي 11م ويقدر طول ضلعه الشرقي بـ 12.10 في حين يصل طول ضلعه الغربي إلى 12.5م وتبلغ مساحته حوالي 137.5م^2.

تحيط بالصحن الأروقة من ثلاثة جوانب؛ الشرقي والشمالي والجنوبي، أما الرواق الغربي فالظاهر أنه أزيل زمن الاحتلال. وأما باقي الأروقة فتتشكل من خمسة عقود منكسرة متجاوزة تحملها أعمدة أسطوانية مصنوعة من الحجر الكلسي ذات تيجان محلية بسيطة.

وتنتهي جميع الأروقة في عمقها بعقود مفصصة جميلة تستند من جهة على الأعمدة الركنية، ومن جهة أخرى على جدران الغرف (الصورة 3).

وتحيط بهذه الأروقة غرف مختلفة الأشكال والأحجام فقدت تقريبا كل معالمها.

صورة 3: عقد مفصص بمبنى الإقامة (عن الباحث)

5.1.4.2- التغييرات والتجديدات :

تعرض قصر الباي مصطفى بوشلاغم إلى تغييرات وتجديدات كبيرة طالت العديد من جوانبه، كما تعرض إلى التخريب والإهمال لاسيما في السنين الأخيرة، ما يجعل الأجزاء المتبقية منه معرضة للانهيار التام وعلى الخصوص مبنى الديوان .

اتخذ هذا القصر مقرا للحكام الإسبان عقب احتلالهم الثاني للمدينة سنة 1145هـ/1732م، فهونتابات (Hontabat) ذكر في خضم حديثه عن القصر أنه يحتاج إلى إصلاحات وترميمات[36]، وهذا مما يكون قد حدث فعلا، فمدخل الديوان الرئيسي يكون قد جُدد فعلا خلال فترة الحكم الاسباني إضافة إلى الدعامات المثبتة لجدار المبنى الجنوبي .

في العام 1205هـ/ 1790م ضرب زلزال عنيف المدينة، غير أننا لا نعرف حجم الأضرار التي لحقت بالمبنى، ولو أن العديد من المصادر التاريخية لاسيما الأجنبية تشير إلى الدمار شبه الشامل الذي أصاب مباني المدينة ككل،

[36] - Hontabat, **Op. cit.** p.22 .

والقصبة بصفة خاصة[37]، إلا أننا نعتقد أن قصر الباي مصطفى بوشلاغم لم يتضرر كثيرا على غرار حماميه[38] اللّذان لم يتأثرا بشدة الزلزال نظرا لمتانة البناء ومقاومته الشديدة لمثل هذه الكوارث الطبيعية.

بعد وفاة الباي محمد الكبير حوَّل ابنه عثمان مقر حكمه إلى القصبة، في هذا الصدد يقول الزياني :" ..ولما تولى نقل دار الحكم إلى القصبة التي بأعلى البلانصة من وهران واشتغل ببناء المعالم المرونقة والغرف المزوقة والقصور المشيدة والأساطين المعددة..."[39] وبالرغم من أن الكاتب لا يعطينا تفاصيل دقيقة حول الموضوع إلا أنه من المؤكد أن الباي استقر بقصر الباي مصطفى بوشلاغم بعد أن يكون قد أجرى عليه بعض الإصلاحات والترميمات.

عند احتلال المدينة من قبل الفرنسيين سنة 1247هـ/1831م اتخذت القصبة ككل مقرا للفرق العسكرية، من خلال تجهيزها لإقامة المئات من العسكريين[40]، والملاحظ أن القوات الفرنسية أحدثت الكثير من التغييرات على المبنى حيث قسمت بعض الحجرات إلى غرف صغيرة، واستحدثت رواقا جديدا – من خلال إقامة جدار– يفصل بين الديوان والقسم الأول من غرف الواجهة الشمالية، هذا وقد فتحت مداخل ونوافذ جديدة وسدت في المقابل أخرى، وفي ذات الوقت تعرضت بعض النوافذ إلى التوسعة لاسيما المشرفة على الخارج، وقد يكون السقف تعرض لإصلاحات وترميمات متكررة، غير أن الأخطر في الأمر هو ما يكون قد قامت به الإدارة العسكرية من هدم لأقسام مهمة من القصر. وتبقى التنقيبات وحدها الكفيلة بالكشف عن هذا الأمر .

عقب الاستقلال مباشرة استرجعت مؤسسة الجيش الوطني القصبة واتخذتها كمخزن إلى غاية 1976م، لتترك بعدها تحت وصاية البلدية، وفي خضم ذلك زحفت على مبانيها ومنها قصر الباي عشرات العائلات حيث اتخذتها مأوى لها[41]، والتي أجرت بها وبالقصر الكثير من التغييرات، ومن ذلك الديوان الذي جزّء إلى غرف صغيرة من خلال إقامة جدران فاصلة ليتلاءم مع متطلبات قاطنيه، وكذلك الحال بالنسبة لكثير من الغرف، وبعد إرغام السلطات المحلية المقيمين على المغادرة نهائيا من خلال تهديم السقوف وتخريب الأرضيات؛ تعرضت مواد بناء القصر المختلفة إلى السطو والنهب والتحطيم (المخطط 2).

37 - Cruck, E., **Oran et les témoins de son passé**, imprimerie Hientz frères, Oran, 1956, p.67.

38 - نقصد بهما حمامه العام الذي أقامه بالمدينة الاسلامية القديمة قرب جامع محمد بن عثمان وحمامه الخاص الذي بناه أسفل القصبة .

39 – الزياني، **المصدر السابق**، ص.206.

40 - René Lespès, **Oran ; étude de géographie et d'histoire urbaines,** Librairie Félix Alcan, Paris, 1938, P. 145.

41 - Sariane Mounir, **Lecture et inventaire du patrimoine architectural; le cas d'Oran**, Mémoire de Magister, Faculté d'architecture et de génie civil, USTO (Oran), 2005/2006, P. 8 et 109.

2.4.2- حمام الباي مصطفى بوشلاغم:

يعتبر واحدا من أهم الحمامات الأثرية بالجزائر التي حافظت على الكثير من أصولها المعمارية، يقع في الناحية الشمالية الشرقية من المدينة الاسلامية القديمة، قريبا من الضفة اليسرى لوادي الرّحي، على شارع بن عمارة المنور (Larrey سابقا) بحي سيدي الهواري، في مكان منخفض عن الأرض بنحو خمسة أمتار، يحيطه من الناحية الغربية البنايات الفرنسية وجامع محمد بن عثمان الكبير ومن الناحية الجنوبية مكاتب جمعية "صحة سيدي الهواري"، أما من الشمال فملحقات المستشفى العسكري الفرنسي والتي تُستغل اليوم كورشات للجمعية المذكورة سابقا.(المخطط3 والصورة4).

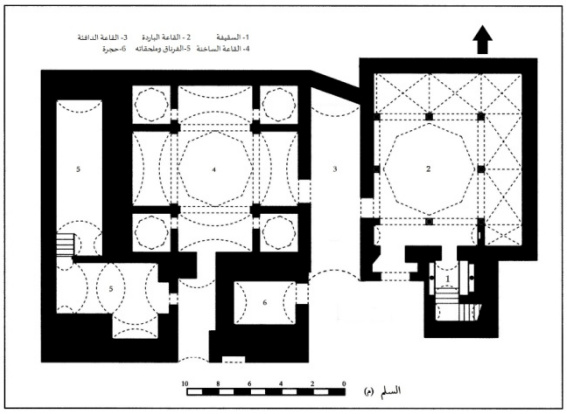

مخطط 3 : حمام الباي مصطفى المسراتي (الحالة الراهنة)

(عن الباحث)

صورة 4: واجهة حمام الباي (عن الباحث)

بنى هذا الحمام أول البايات الذين حكموا وهران وهو الباي مصطفى بوشلاغم وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 1119هـ/ 1708م و1145هـ/1732م، وفي غياب مصادر تاريخية تشير صراحة إلى العام الذي بني خلاله هذا المعلم فإننا نقف عاجزين عن تأريخه، وهذا بالرغم من وجود كتابتين تأسيسيتن أشارت إليهما عديد المصادر والمراجع، واللتان وإن أفادتانا في تحديد مؤسس الحمام إلا أنهما لم تفيدانا كثيرا في تحديد تاريخ البناء بدقة، وهذا نظرا للطمس الذي مس بعض أجزائها.

وجاء في الكتابة التأسيسية الأولى:

-الحمد لله

-إن المجاهد في سبيل (الله)

-السيد مصطفى باي بن يوسف

-أمر بتشييد هذا الحمام في سنة

- 11.5

وجاء في الكتابة التأسيسية الثانية ما يلي:

-الحمد لله

-إن المجاهد في سبيل الله

-السيد مصطفى باي بن يوسف

-أمر ببناء هذا الحمام في

-شوال من سنة 11.3

وعليه، فإننا أمام إشكالين اثنين؛ أما الأول فيتعلق بوجود لوحتين تأسيسيتين نجهل تماما أيهما تنسب للحمام الذي نحن بصدده، وأما الإشكال الثاني فيكمن في تآكل رقم العشرات في كلا الكتابتين، وبما أننا نعلم علم اليقين أن الباي حكم وهران ما بين سنتي 1119هـ و1145هـ فإن السنة المذكورة على الكتابة الأولى تكون إما سنة 1125هـ/1713م أو سنة 1135هـ/1722م، أما السنة المذكورة على الكتابة الثانية فتكون إما سنة 1123هـ/1711م أو سنة 1133هـ/1720م، ونظرا لعدم مقدرتنا في ترجيح تاريخ بعينه خاصة بوجود كتابتين اثنتين تحول دون ذلك، فإن الرأي الذي نذهب إليه ونؤكده أن الحمام قد شُيِّد ما بين سنتي 1123هـ/1711م و1135 هـ/1722م، وبالضبط في واحدة من السنوات الأربعة التي تم التطرق إليها آنفا.

وللعلم فقد استغل خلال الفترة الثانية من الاحتلال الإسباني كسجن يتسع لحوالي 200 فرد من المنفيين الإسبان[42]، ليعود إلى وظيفته عقب تحرير وهران العام 1792م واستمر كذلك في بدايات الاحتلال[43]، ثم حوِّل كمغسل للقوات الغازية، بعد الاستقلال ناله الكثير من الإهمال وحول إلى مفرغة للقاذورات والأوساخ، وفي السنوات الأخيرة تكفلت جمعية "صحة سيدي الهواري"[44](S.D.H) بتنظيف الموقع والمحافظة عليه وضمّه، حيث أصبحت تقام بداخله العديد من نشاطات هذه الجمعية .يتوسط الحمام مجموعة من المباني يعود معظمها إلى الفترة الاستعمارية، هي الآن عبارة عن مقر لجمعية "صحة سيدي الهواري"، ومن خلال مدخل يقع في الناحية الشرقية نصل مباشرة إلى سطح الحمام التي تبرز منه مجموعة من القباب لاسيما قبة القاعة الباردة وقبة القاعة الحارة إضافة إلى المداخن وفتحات التهوية، ويبقى أن نشير إلى أن أرضية الحمام تنخفض عن السطح وعن البنايات المجاورة ومنها جامع محمد بن عثمان بنحو 5.10م .

---

[42] - Hontabat, **Op. Cit**, P. 214

[43] – لقد قام الرحالة الألماني بزيارة المدينة خلال الخمسينات من القرن التاسع عشر وقدم وصفا للمدينة وذكر من بين ما ذكر الحمام العربي (حمام الباي على الأرجح) وقد أشار أن السكان كانوا لا يزالون يرتادونه حينها. **أنظر** : – هاينريش فون مالتسان، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة : أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979م، الجزء الثاني، ص. 30 و32.

[44] - هي جمعية ذات طابع ثقافي وتعليمي وتكويني مقرها يقع بمحاذاة الحمام وجامع محمد بن عثمان، تأسست العام 1991م من قبل مجموعة من المعماريين والأطباء والممرضين، تعنى بالمحافظة على التراث كما تعنى بالصحة العامة لدى المواطنين، تعكف باستمرار على إقامة حملات تطوعية لتنظيف المواقع الأثرية، بالإضافة إلى تنظيم العديد من النشاطات الثقافية والترفيهية، وهي تحوز على العديد من الورشات تختص بتعليم وتكوين الشباب في مختلف التخصصات ومنها الترميم.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

1.2.4.2- مدخل الحمام وسقيفته:

يقع المدخل الأصلي في الركن الجنوبي الشرقي من الحمام، هو مسدود حاليا، ومنه نصل عبر سلم من ثمان درجات إلى سقيفة مستطيلة صغيرة طولها 3.28م وعرضها 2.9م وارتفاعها 3.67م، يكتنفها من جانبها الأيمن مصطبة للجلوس معقودة بعقدين إهليليجيين، ويقابل المصطبة الأولى مصطبة أخرى ببائكة من عقدين إهليليجيين أيضا.

2.2.4.2- القاعة الباردة :

ذات شكل شبه مربع إذ يبلغ طولها 10.32م وعرضها 9.48م أما مساحتها فتقدر بـ97.83م^2، ويتوسط القاعة صحن مربع طول ضلعه 6.24م، تحيطه ثلاثة أروقة من الجهات الشرقية والجنوبية والشمالية، مشكلة من بوائك، أما الجهة الغربية فتفتقد إلى الرواق حيث تتشكل من بائكة مصمتة .تقوم كل بائكة على عقدين منكسرين متجاوزين محمولة على ثلاثة أعمدة كلسية ضخمة ذات أبدان أسطوانية، في حين جاءت تيجانها غاية في البساطة تتكون من عدة حلقات . يغطي صحن القاعة قبة كبيرة ثمانية الأضلاع، فتح في أضلاعها نوافذ للإضاءة مستطيلة الشكل، أما الأروقة فغُطي الشمالي منها والشرقي بأقبية متقاطعة بينما غُطي الجنوبي بسقف نصف برميلي (الصورة 5).

صورة 5:جانب من القاعة الباردة للحمام

وللانتقال إلى القاعة الدافئة فُتح في الزاوية الجنوبية الغربية من الصحن مدخل ذو عقد موتور استخدم في بنائه الحجارة والآجر بمقاسات مختلفة.

3.2.4.2- القاعة الدافئة :

تقع هذه القاعة بموازاة الجدار الغربي للقاعة الباردة تمتد من الجنوب إلى الشمال ذات شكل مستطيل تقريبا، لها سقف نصف برميلي فتحت به العديد من الفتحات التي كانت تستخدم للإضاءة وقد سُدّت جميعها خلال العهد الاستعماري، كما فتح في جداريها الشرقي والغربي عدد من الكواة اختلفت مقاساتها، ويعتقد أنها كانت تستخدم لوضع المصابيح أو أغراض أخرى. وعلى غرار القاعة الباردة فقد بلطت أرضيتها بحجارة مصفحة غير موحدة المقاسات .

تفتح هذه القاعة بشكل كلي على الفناء الحالي الذي يتقدمها في الجهة الجنوبية، ذلك أن سلطات الاحتلال قامت بإزالة جدارها الجنوبي كي يتوافق واستخداماتها الجديدة، أما مدخلها الأصلي الذي يربطها بالقاعة الحارة فيقع تقريبا في منتصف جدارها الغربي له عقد موتور غير أصلي.

4.2.4.2- القاعة الحارة:

تمتد هي الأخرى بشكل موازي مع القاعة الدافئة تتخذ شكلا مربعا يتوسطها صحن يكتنفه من جهاته الأربعة أواوين، أما الأركان فتضم أربعة غرف صغيرة عبارة عن مقصورات (خلوات).

يتخذ الصحن شكلا مربعا يشرف على الأواوين من خلال عقود نصف دائرية مفلطحة تقوم على دعامات مدمجة بارزة قليلا عن الجدران مشكلة في بروزها ما يشبه حرف "T"اللاتيني، ويغطي الصحن قبة ثمانية الأضلاع على غرار قبة القاعة الباردة، غير أنها أصغر حجما، ترتكز على العقود السابق ذكرها، تقوم منطقة انتقالها على مثلثات ركنية. فتح في أربعة من أضلاعها أربعة نوافذ تبدو حديثة، ويوجد أسفل منها أربعة أخرى مستطيلة مسدودة، نرجح أن تكون الأصلية، أما أرضية الصحن فمبلطة بتبليط حديث.

وأما الأواوين فتتخذ شكلا مستطيلا، وجميع هذه الأواوين ذات سقف نصف برميلي فتحت به العديد من الفتحات الدائرية قصد الإضاءة هي اليوم مسدودة في أعلاها، كما تضمنت الأواوين الشمالية والجنوبية والغربية سدّات، ومن جهة أخرى فقد فتحت كوّات في جدرانها الخارجية .

أما الغرف التي تحتل أركان القاعة الحارة فمربعة الشكل، يبلغ طول ضلعها 2.55م، ندخلها من خلال مدخل ذو عقد نصف دائري، تعلو كل حجرة قبة صغيرة مثمنة الأضلاع ذات مثلثات ركنية.

5.2.4.2- الفرناق:

يقع الفرناق (المستوقد) في الجهة الغربية من الحمام خلف القاعة الحارة، نصل إليه بعد المرور بحجرة غير منتظمة الأضلاع تتشكل من قسمين، وفي الركن الشمالي الغربي من الحجرة يفتح مدخل يفضي بنا إلى حجرة الفرناق والممتدة

طولا بموازاة القاعة الحارة، وذلك من خلال سلم نازل من ستة دركات، والحجرة ذات شكل مستطيل، أبعادها 2.90X3X11م ذات سقف نصف برميلي، بها حنية (تجويف) غائرة في جدارها الشمالي سد قسم كبير منها يعتقد أنها موقد النار حيث توضع قدر تسخين الماء(البرمة)، ويمين الموقد توجد القنوات الفخارية للمدخنة .

بنيت القاعة بمواد بناء صلبة فجدرانها بنيت بالدبش والحجارة المهذبة وبني السقف بالآجر، وقد فصل بين الجدران والسقف إفريز مشكل من الآجر وضع بشكل أفقي، أما الأرضية فبلطت بحجارة كلسية متوسطة الأحجام .

6.2.4.2- التغييرات والتجديدات:

لقد فقد الحمام وظيفته الذي أقيم من أجلها منذ أن احتل الفرنسيون وهران، حيث حول إلى مغسل للقوات الغازية، ومازالت بعض التجهيزات الموجودة داخله إلى اليوم شاهدة على ذلك.

إلا أن أكبر الضرر الذي لحق به هو ما أحدثه الفرنسيون في واجهته الجنوبية حيث أزيل الجدار الجنوبي للقاعة الدافئة والجدار الجنوبي أيضا لإحدى الغرفة المجاورة للفرناق، كما قاموا بفتح باب في الزاوية الجنوبية الغربية للقاعة الباردة ومدخل آخر في منصف جدار الإيوان الجنوبي للقاعة الحارة، ومن جهة أخرى سُدّت جميع فتحات سقف الحمام وهذا بوضع طبقة سميكة من الملاط على سطح الحمام والتي تعدت من خلال تقديرنا 20سم، كما يمكن أن تكون سدّت العديد من النوافذ والمداخل ولعل أهمها المدخل الأصلي للحمام (المخطط 4).

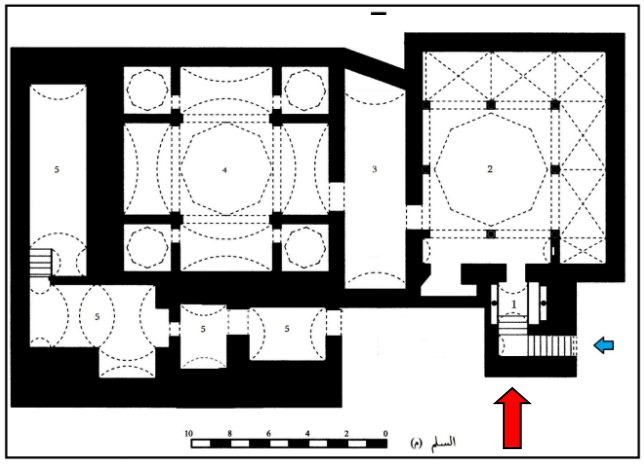

مخطط 4 : حمام الباي مصطفى المسراتي (إعادة تصور) (عن الباحث)

داخل القاعات أحدثت العديد من التغييرات ولئن لم تؤثر في مخطط الحمام بصفة عامة؛ فإنها في المقابل أثرت في وظيفته ومن ذلك ما تمّ داخل القاعة الباردة حيث أزيلت جميع سدّاتها ومصاطبها وبلاطاتها الخزفية أو الرخامية، كما عُطِّل نظام التسخين بالفرناق، ولم نعثر سوى على بعض الدلائل الأثرية الدالة على وجوده، أما قِدر التسخين والأنابيب والقنوات المرتبطة به إضافة إلى الأحواض المائية وخزانات الماء وغيرها فلم نجد لها من أثر، في حين أزيل تبليط الأرضيات الأصلي بصورة شبه كاملة خاصة داخل القاعة الحارة، وأما تكسيات الجدران فلا وجود لها اليوم .

3.4.2- حمام القصبة:

يقع الحمام في الجهة الشمالية الشرقية أسفل القصبة، ولا يبعد عن دار إقامة قصر الباي مصطفى بوشلاغم إلا بنحو 20م، يشرف مباشرة من ناحية الشمال على المدينة القديمة، يحده من الشرق السجن الإسباني، ومن الجنوب والجنوب الغربي تحده بنايات شبه مهدمة تعود إلى الفترتين الإسبانية والعثمانية لم نقف على طبيعتها، ومن الجنوب الشرقي ساحة كبيرة – قد تكون حديقة أو فناء فيما سبق– والتي من خلالها نلج اليوم إلى الحمام. ومما يجب التنويه به أن قاعتيه الباردة والساخنة تقع خارج سور القصبة حيث تشتركان معه في جدارهما الجنوبي، ويتربع هذا المعلم على مساحة تبلغ حوالي 32.5م^2.

يعود بناء الحمام إلى فترة الحكم العثماني بوهران، وعلى الأرجح خلال فترة ولاية الباي مصطفى بوشلاغم الممتدة ما بين سنتي 1119هـ و1145هـ/1708م–1732م، ويعتبر واحد من الحمامات الملحقة بالقصور والتي تتميز عادة بصغر المساحة والبساطة في تكوينه.

تتقدم الحمام ردهة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها 3.60م، نصلها من خلال مدخل معقود بعقد نصف دائري يفتح في الجدار الشرقي عند الركن الجنوبي الشرقي، وهذه الردهة غير مسقوفة حاليا ولذلك لم نتمكن من معرفة وظيفتها، ومع ذلك فإننا نرجح أن تكون السقيفة التي تتقدم الحمامات عموما والتي منها ننتقل إلى القاعة الباردة. (المخطط 5)

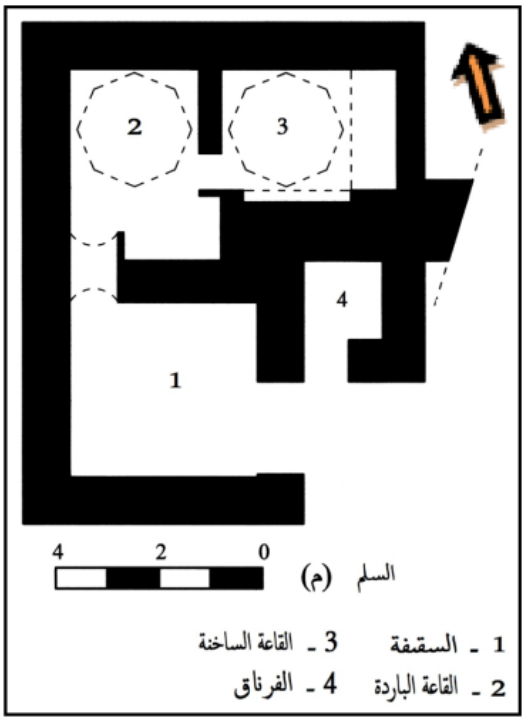

مخطط 5 : حمام القصبة (عن الباحث).

1.3.4.2- القاعة الباردة:

ذات شكل مستطيل حيث يبلغ طولها 4م وعرضها 2.20م، وهي مقسمة من حيث التسقيف إلى قسمين؛ أما القسم الأول والذي يلي المدخل مباشرة فله سقف نصف برميلي، وأما القسم الثاني فمسقوف بقبة ثمانية الأضلاع ذات قطر يصل إلى 2م وارتفاع يصل إلى 3.80م تقوم على مثلثات ركنية، أما أرضيتها فمبلطة ببلاطات حجرية أصلية، وهي خالية حاليا من أي نوافذ أو فتحات، ويبدو من خلال المصطبة المضافة في ركنها الجنوبي الشرقي أنها استغلت كمطبخ في الفترات الماضية.

يفتح في منتصف جدارها الشرقي مدخل يفضي مباشرة إلى القاعة الحارة اتساعه 0.72م وارتفاعه 1.70م ذو عقد شبه موتور .

2.3.4.2- القاعة الحارة:

تقع إلى الشرق بالموازاة مع القاعة الباردة لها شكل أقرب إلى المربع حيث يبلغ طولها 3.10م وعرضها 2.35م، ويصل ارتفاعها إلى 2.35م، مسقفة من جهة بقبة مضلعة ذات أخاديد، قطرها 1.90م وارتفاعها 3.60م (الصورة 6)، تتكون منطقة انتقالها من مثلثات ركنية وأما الجزء الثاني من القاعة فله سقف مستوٍ يبلغ ارتفاعه 2.35م، بها في جدارها الشمالي نافذة مسدودة حاليا، أما أرضيتها فمبلطة بطبقة إسمنتية .

صورة 6: قبة القاعة الحارة بحمام القصبة (عن الباحث)

3.3.4.2- الفرناق :

نظرا لما آلت إليه القصبة عامة والحمام خاصة من تخريب وتشويه وإهمال فإننا لم نتمكن من تحديد مكان الفرناق، لاسيما وأن الحمام فقد وظيفته منذ مدة طويلة جدا قد تعود إلى السنة التي احتل فيها الفرنسيون المدينة، وما عرفته هذه الأخيرة من هجرة جماعية للسكان. ومع ذلك فإن موقعه قد لا يكون بعيدا عن المعلم، ونرجح أن يكون مكانه في الزاوية الشرقية الجنوبية خلف القاعة الحارة تماما حيث لا تزال بقايا أسوار لحجرة ضيقة جدا قد تكون هي الفرناق .

4.3.4.2- التغييرات والتجديدات:

تعرض حمام القصبة إلى بعض التغييرات حيث تمّ سدّ الشمسيات التي من المفروض أن تكون موجودة في بطني القبتين، كما تمّ سدّ النافذة الموجودة بالجدار الشمالي للقاعة الحارة والتي كانت فيما سبق تشرف على المدينة العتيقة لوهران، ومن جهة أخرى استبدلت البلاطات الأرضية للقاعة الحارة بطبقة إسمنية كما تمّ إزالة التكسيات الجدارية، وداخل القاعة الباردة تمّ بناء مصطبة بالآجر بغية استخدامها كمطبخ. أما الأبواب الخشبية والأحواض المائية والألواح الحجرية –التي عادة ما تتوفر عليها الحمامات الإسلامية– فهي غير موجودة اليوم .

3. الخاتمة:

بالحديث عن مدينة وهران التي أدرك العثمانيون منذ البداية أهميتها الإستراتيجية والاقتصادية فاتخذوها كعاصمة لبايليك الغرب على فترتين مختلفتين كان المعطى التاريخي هو المتحكم فيهما؛ فإنه بالإمكان القول أنها إحدى المدن الشاهدة على تطور العمارة خلال تلك الفترتين بما خلفته لنا من معالم معمارية كثيرة نسبيا، رغم قصر فترة الحكم العثماني بها والذي لم يتجاوز في مجمله ثلاث وستين سنة، كان فيها التمازج واضحا بين الطابع المحلي والطراز العثماني.

والأكيد أن العمائر المدنية الباقية بوهران التي تنسب لأول باياتها – مازالت محافظة على الطابع الأصلي للبناء فيها، يمكن من خلاله استخلاص العديد من الخصائص المعمارية والفنية لعمارة تلك الفترة والتي تبين مدى التمازج الواضح بين التقاليد المحلية الموروثة عن الفترات السابقة في البناء وبين التأثيرات الوافدة مع العثمانيين.

ومن جهة أخرى فإن تَطَرُقَنا لهذه المنجزات هو أيضا محاولة منا لكشف الغطاء عن إحدى الشخصيات التاريخية المهمة، التي – بالإضافة لمساهمتها بشكل فعال في صناعة تاريخ المنطقة– تركت لنا بصمتها الواضحة في الميدانين المعماري والعمراني.

قائمة المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية:

1.1-الكتب

أ- المصادر:

- الزياني، محمد بن يوسف ، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م .

- المزاري، آغا بن عودة إسماعيل ، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة : يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م، الجزء الأول.

- مالتسان، هاينريش فون ، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة : أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979م، الجزء الثاني.

ب-المراجع:

- التر، عزيز سامح ، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة : محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989م.

- بورويبة، رشيد ، **وهران**، سلسلة فن وثقافة، 1979م.

2.1-المقالات:

- بوتشيشة، علي ، "المنجزات المعمارية للباي محمد الكبير في مدينة وهران"، مجلة عصور الجديدة، العدد 7-8، خريف-شتاء 1433-1434هـ/2012-2013م.

2- باللغة الاجنبية:

1.2- الكتب:

-Abadie Louis, **Oran et Mers El- Kébir, vestiges du passé espagnol,** Edition Gandini,Paris, 2002.

-Aramburu, **Op.Cit** Aramburu D.J., **Oran et l'Ouest algérien au 18 ème siècle (Rapport)**, Présentation et traduction ; Mohamed El Korso et Mikel De Epalza, Bibliothèque nationale, Alger, 1978.

- Cruck, E., **Oran et les témoins de son passé**, imprimerie Hientz frères, Oran, 1956.

- Epalza (de) Mikel de et Vilar Juan Bta, **Plans et cartes hispaniques de l'Algérie, 16ème-18ème siecles**, Mikel Julio Soto Impresor, S.A, Madrid, 1988.

- Esterhazy Walsin, **De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, librairie de charles Gosslin, Paris, 1840.

-Kehl,C. **Oran et l'Oranie avant l'occupation française**, Oran, 1942.

- Lespès, René, **Oran ; étude de géographie et d'histoire urbaines,** Librairie Félix Alcan, Paris, 1938.

- Mercier, Ernest**, Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les reculés jusqu'à la conquête française**, T.3, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1868.

-Pièsse, louis, **Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie**,Hachette Paris, 1862.

-Pièsse, louis, **Itinéraire de l'Algérie, de la Tunisie et de Tanger**, Librairie Hachette, Paris,1882.

2.2-الرسائل الجامعية :

- Benkada, Saddek, **Espace urbain et structure sociale à Oran de 1792 à 1831**, Mémoire de diplôme d'etude approfondies, université d'Oran, Institut des sciences sociale, Oran, 1988.

- Ferhat Bendaoud, R. H**., étude de l'Architecture militaire de la ville d'Oran pendant l'occupation espagnole 1505-1792**, Mémoire de Magister, école polytechnique d'architecture et d'urbanisme, Alger, 1999-2000.

-Sariane, Mounir, **Lecture et inventaire du patrimoine architectural; le cas d'Oran**, Mémoire de Magister, Faculté d'architecture et de génie civil, USTO (Oran), 2005/2006.

3.2- المقالات :

- Birebent, Paul, " Oran avant la France", In **L'Algérianiste**, n° 103, Septembre, 2003.

- Casenave, J., « Contribution à l'histoire du vieil Oran », In **R. A**., V. 66, 1925.

- De Sandoval, C. X., « Les inscriptions d'Oran et de Mers-El-Kebir » Trad : Monnerau, In R. A., V.16 ,1872.

-Lespès, René, «Oran; ville et port avant l'occupation française (1831)», In **R.A** ,V.75, 1934.

-Pestemaldjoglou A, « Ce qui subsiste de l'Oran espagnol »,In **R.A**, VOL, 79, 1936, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1936.